تجارية، من السلاطين الاتراك، وادراكه قرب احتضار «الرجل المريض» لوراثة تركته، فشرع في ارسال الرحالة، وتأسيس الارساليات، واقامة معاهد الاستشراق.

وازداد اهتمام بريطانيا بهذه المنطقة بعد احتلالها للهند في القرن السابع عشر، وامتداد نفوذها في الشرقين، الادنى والاقصى، فيما بعد؛ وبات شغلها الشاغل تأمين طرق التجارة الى مستعمراتها في شرق آسيا، خاصة الى الهند. ولقد «ايقظت حملة نابليون بونابرت على مصر وفلسطين، في أواخر القرن الثامن عشر، اطماع بريطانيا ورغبتها في السيطرة على المنطقة، بشكل اكثر مباشرة، نظراً لما انطوت عليه حملة نابليون من تهديد خطير لمصالح بريطانيا في الهند»[١٠]، فكان ان عملت جاهدة لاخراجه من مصر وفلسطين. ولقد نجحت في ذلك، واخذت تسعى الى الهيمنة على هذه المنطقة، حفاظاً على مصالحها. ولم تكن الدول الاوروبية الغربية أقل اهتماماً بالشرق الاوسط، «مركز العالم القديم. فهو يقع على مفترق طرق التجارة البرية، ويصل أوروبا بشمال افريقيا وآسيا وبشرقي افريقيا واستراليا... وهو الجسر البري الوحيد لقارة افريقيا، وهو مهبط الاديان السماوية، اليهودية والنصرانية والاسلام»[١١].

هذا الادراك خلق الحافز الغربي، المتمثل في فرنسا ثم في بريطانيا، لزرع الكيان الصهيوني في فلسطين محمياً بحراب الغرب، وذلك لحماية مصالحه ولعزل المشرق العربي عن المغرب العربي الافريقي.

على هذا الصعيد، لا بد من المرور، ولو سريعاً، بالتحرك الغربي وراء هذا المسعى الذي قدر له النجاح لاحقاً على يد بريطانيا. فلقد اتضح لحكومة صاحب الجلالة ان حملة نابليون هدفت الى أمور امبريالية كثيرة، منها سيطرة فرنسا على هذه المنطقة بدواع استعمارية، ومنها قطع طرق المواصلات بين بريطانيا ومستعمراتها في شرق آسيا؛ وفوق ذلك عزم فرنسا على اقامة استيطان يهودي في فلسطين يدعم الاحتلال الفرنسي لسوريا ومصر[١٢].

لقد عمل نابليون، قبل تحركه الى مصر، على اثارة مشاعر اليهود، الدينية والقومية، لتحقيق غرضه. وكان ذلك قبل ظهور هرتسل بقرن. ومما قاله مخاطباً اليهود الشرقيين: «يا ورثة فلسطين الشرعيين؛ ان الامة العظيمة تناديكم الآن، لا للعمل على اعادة احتلال وطنكم فحسب، وليس بغية استرجاع ما فقد منكم، بل لأجل ضمان ومؤازرة هذه الامة، لتحفظوها مصونة من جميع الطامعين بكم، كي تصبحوا اسياد بلادكم الحقيقيين»[١٣].

وقد تنبهت بريطانيا لهذه الامور واخذت تعمل على ازاحة فرنسا من على الساحة لتحل محلها، فكان ان زحزحت الوجود الفرنسي من مصر وفلسطين، ثم جاء ظهور محمد علي في مصر وتوغله العسكري في سوريا وآسيا الصغرى دافعاً جديداً للتحرك البريطاني الحثيث لانشاء الكيان الصهيوني في فلسطين[١٤].

وسرعان ما تبنت الحكومة البريطانية، بعد ارجاع محمد علي الى مصر، قضية يهود السلطنة العثمانية العام ١٨٤٠، واسست لها في القدس اول قنصلية. وقد حدد رئيس الحكومة البريطانية آنذاك، بالمرستن، اهداف هذه القنصلية برسالة بعث بها الى القنصل في القدس، وليام يونغ، يذكر فيها انه يجب تأمين حماية اليهود عموماً، وارسال تقارير عنهم. ثم باشر بالمرستن الضغط على السلطنة العثمانية لاسكان اليهود في فلسطين، واصبح يهود السلطنة تحت الحماية البريطانية. وحول النوايا البريطانية في تلك الفترة، كتبت صحيفة «التايمز» البريطانية، في ١٧ و ١٨٤٠/٨/٢٦